Al-Quntar Journal for Humanitarian and Applied Studies
Philosophy and Foresight Science Series

# نظرية المعرفة عند ابن سينا: تحليل فلسفي للمصادروالدرجات والغاية

الباحث : محمد عبد الغافر محمد بوزية

تاريخ الارسال 2025/1/30 تاريخ القبول 2025/2/15 تاريخ النشر 2025/3/30

**الملخص:**

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم تحليل فلسفي معمق لنظرية المعرفة (الإبستمولوجيا) عند الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا (المعروف بـ Avicenna)، واستكشاف رؤيته لمصادر المعرفة الإنسانية، ودرجاتها، وعلاقة ذلك بنظريته في النفس والعقل الفعّال، وصولاً إلى الغاية النهائية للمعرفة في نسقه الفلسفي. اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي-التفسيري القائم على قراءة وتأويل كتب ابن سينا الرئيسية ذات الصلة بنظرية المعرفة (خاصة من كتاب الشفاء، وكتاب النجاة، والإشارات والتنبيهات)، مع الاستعانة بالدراسات الأكاديمية الثانوية المتخصصة. تم تحليل المفاهيم الأساسية كالإدراك الحسي، والتخيل، والوهم، والعقل بأنواعه (الهيولاني، بالملكة، بالفعل، المستفاد)، ودور الحدس، ومفهوم العقل الفعّال كواهب للصور والمعقولات. خلصت الدراسة إلى أن ابن سينا يقدم نظرية معرفة متكاملة ومتدرجة، تبدأ من الحواس كمصدر أولي للمعلومات، وترتقي عبر القوى النفسية الباطنة إلى العقل الذي يقوم بعملية التجريد، وصولاً إلى الاتصال بالعقل الفعّال كمصدر للمعرفة اليقينية والمفاهيم الكلية، وذلك إما عبر الاستدلال المنطقي أو الحدس المباشر. كما أبرزت الدراسة أن غاية المعرفة عند ابن سينا ليست مجرد تحصيل معلومات، بل هي كمال النفس الإنسانية وسعادتها القصوى المتحققة عبر التعقل والاتصال بالمبادئ العالية. أوصت الدراسة بتعميق البحث في مفهوم "الحدس" عند ابن سينا وعلاقته بالإشراق، وإجراء مقارنات معمقة بين نظريته ونظريات معاصريه وسابقيه ولاحقيه.

**كلمات مفتاحية :**ابن سينا، نظرية المعرفة، إبستمولوجيا، الفلسفة الإسلامية، العقل الفعّال، الحدس، النفس، الحواس، التجريد، الاتصال.

Abstract:This study aimed to provide an in-depth philosophical analysis of the theory of knowledge (epistemology) of Sheikh al-Ra'is Abū Alī al-Ḥusayn ibn Abd Allāh ibn Sīnā (Avicenna), exploring his vision of the sources of human knowledge, its degrees, its relationship to his theory of the soul and the Active Intellect, and the ultimate goal of knowledge in his philosophical system. The study adopted an analytical-interpretive method based on reading and interpreting Ibn Sina's primary texts relevant to epistemology (especially from *Kitāb al-Shifāʾ*, *Kitāb al-Najāt*, and *al-Ishārāt wa al-Tanbīhāt*), supported by specialized secondary academic studies. Key concepts such as sensory perception, imagination, estimation (*wahm*), the intellect in its various states (material, habitual, actual, acquired), the role of intuition (*ḥads*), and the concept of the Active Intellect as the giver of forms and intelligibles were analyzed. The study concluded that Ibn Sina presents an integrated and hierarchical theory of knowledge, starting from the senses as a primary source of information, ascending through the internal faculties of the soul to the intellect which performs abstraction, culminating in conjunction (*ittiṣāl*) with the Active Intellect as the source of certain knowledge and universal concepts, achieved either through logical demonstration or direct intuition. The study also highlighted that the goal of knowledge for Ibn

3/30/2025

Sina is not merely acquiring information, but the perfection of the human soul and its ultimate happiness realized through intellection and conjunction with the higher principles. The study recommended further research into Ibn Sina's concept of "intuition" and its relation to illuminationism, and conducting in-depth comparisons between his theory and those of his contemporaries, predecessors, and successors.

**Keywords:** Ibn Sina, Avicenna, Epistemology, Theory of Knowledge, Islamic Philosophy, Active Intellect, Intuition (Hads), Soul (Nafs), Senses, Abstraction, Conjunction (Ittisal).

## 1. المقدمة

يحتل الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (370-428 هـ / 980-1037 م)، المعروف في الغرب اللاتيني بـAvicenna ، مكانة سامقة في تاريخ الفكر الفلسفي والعلمي، ليس فقط ضمن التراث الإسلامي العريق بل في مسيرة الفكر الإنساني عامة. لقد استطاع ابن سينا، بعبقريته الفذة وموسوعيته النادرة، أن يقدم نسقاً فلسفياً شاملاً ومتماسكاً، جمع فيه ببراعة بين الإرث الأرسطي والأفلاطوني المحدث وبين رؤيته الإسلامية الخاصة، مقدماً إسهامات أصيلة وخالدة في مختلف فروع الفلسفة كالمنطق، والطبيعيات، والإلهيات (الميتافيزيقا)، والأخلاق، وعلم النفس، بالإضافة إلى إنجازاته الكبرى في مجال الطب التي ظلت مرجعاً أساسياً لقرون (Gutas, 2014; McGinnis, 2010) .

في قلب هذا النسق الفلسفي الشامخ، تقع "نظرية المعرفة" أو الإبستمولوجيا (Epistemology) – وهي البحث في طبيعة المعرفة الإنسانية، ومصادرها الموثوقة، وحدودها، ودرجات اليقين فيها، وقيمتها النهائية، لم يكن ابن سينا مجرد ناقل أو شارح للفلسفة اليونانية في هذا المجال، بل كان مفكراً أصيلاً أولى اهتماماً بالغاً بتحليل عملية الإدراك والمعرفة الإنسانية بكافة تعقيداتها، بدءاً من الإحساسات الأولية التي ترد إلى النفس عبر الحواس، ومروراً بعمليات المعالجة والتجريد التي تقوم بها القوى النفسية الباطنة والعقل، وصولاً إلى أعلى درجات التعقل النظري والاتصال بالمبادئ العقلية المفارقة التي تمثل مصدر اليقين والمعرفة الكلية.

يهدف هذا البحث إلى الغوص في أعماق فكر ابن سينا لاستجلاء معالم نظريته المتكاملة في المعرفة، سنسعى إلى تحليل رؤيته لمسارات اكتساب اليقين، وتحديد الدور الذي يلعبه كل من الحواس الظاهرة والباطنة، والعقل بدرجاته المختلفة، والحدس كطريق مباشر للمعرفة، ومفهوم "العقل الفعّال" كحلقة وصل محورية بين العالم الإنساني وعالم المعقولات، في هذه العملية المعرفية المعقدة، كما سيهدف البحث إلى فهم الغاية النهائية التي يرمي إليها الإنسان من وراء سعيه الدؤوب للمعرفة في منظور هذا الفيلسوف الموسوعي، وكيف ترتبط هذه الغاية بكمال النفس الإنسانية وسعادتها الحقيقية.

## 2. إشكالية الدراسة وأهميتها

تكمن **إشكالية البحث** الرئيسية في الحاجة إلى فهم كيف استطاع ابن سينا أن يبني نظرية معرفة متماسكة ومتكاملة تجمع بين مصادر تبدو أحيانًا متباينة أو حتى متناقضة في الفلسفات الأخرى، مثل الاعتماد على الحس كمصدر أولي للمعرفة من جهة، والتأكيد على دور العقل المجرد والحدس المباشر والفيض من العقل الفعّال من جهة أخرى، كيف يبرر ابن سينا الانتقال المشروع من المعرفة الحسية الجزئية المتغيرة إلى المعرفة العقلية الكلية الثابتة واليقينية؟ وما هو الدور المحدد والدقيق الذي يلعبه مفهوم "العقل الفعّال " (Agent Intellect / Active Intellect) – وهو مفهوم مركزي وغامض في آن واحد في الفلسفة الأرسطية المتأخرة والفلسفة الإسلامية – في تفسير

هذه العملية المعرفية، وكيف يتفاعل مع العقل الإنساني "المنفعل"؟ وكيف تتشابك نظرية المعرفة عند ابن سينا بشكل عضوي مع نظريته في النفس (طبيعتها، قواها، خلودها) وبنسقه الميتافيزيقي العام، وخاصة بنظرية الفيض (Emanation Theory) التي تفسر صدور الموجودات عن المبدأ الأول؟ إن الإجابة على هذه التساؤلات لا تكشف فقط عن أصالة وعمق الفكر عند ابن سينا، بل تساهم أيضاً في فهم تطور الإبستمولوجيا في السياق الإسلامي وتأثيرها اللاحق.

وتبرز **أهمية الدراسة** في عدة جوانب مترابطة:

- **الأهمية الفلسفية والتاريخية:** تساهم الدراسة في تقديم فهم معمق لأحد أهم النظريات المعرفية في تاريخ الفلسفة الإسلامية، والتي شكلت منعطفاً هاماً وأثرت بشكل كبير على مسار الفكر الفلسفي اللاحق شرقاً (في العالم الإسلامي، بما في ذلك التيارات الكلامية والصوفية) وغرباً (في الفلسفة المدرسية اللاتينية، خاصة من خلال أعمال ألبرت الكبير وتوما الأكويني (Davidson, 1992; Hasse, 2007)، كما تسلط الضوء على كيفية تفاعل الفكر الإسلامي الخلاق مع التراث اليوناني (الأرسطي والأفلاطوني المحدث) وإعادة صياغته وتقديم إضافات أصيلة إليه في مجال الإبستمولوجيا.
- **الأهمية للمفاهيم الفلسفية الأساسية:** يقدم تحليل نظرية المعرفة عند ابن سينا فرصة لتوضيح وتعميق الفهم لمفاهيم فلسفية أساسية مثل طبيعة الإدراك، والتجريد، والمفاهيم الكلية، والحدس، والوعي الذاتي، والعلاقة بين النفس والجسد، وطبيعة العقل، وهي مفاهيم لا تزال تشكل محور النقاشات الفلسفية.
- **الأهمية المعاصرة:** على الرغم من مرور قرون على كتابات ابن سينا، لا تزال العديد من القضايا الإبستمولوجية التي ناقشها (مثل العلاقة بين التجربة والعقل، ودور الحدس في الاكتشاف العلمي والفلسفي، وطبيعة المفاهيم الكلية، وإمكانية الوصول إلى اليقين، وحدود المعرفة الإنسانية) ذات أهمية حيوية في النقاشات الفلسفية والعلمية المعاصرة حول طبيعة المعرفة والوعي والذكاء الاصطناعي.

3. **أهداف الدراسة**

تهدف هذه الدراسة بشكل أساسي إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تحديد وتحليل المصادر المتعددة للمعرفة الإنسانية كما يراها ابن سينا، مع التركيز على دور كل من الحواس الظاهرة والباطنة، والعقل بدرجاته المختلفة، والحدس كطريق متميز للمعرفة.
- شرح وتوضيح درجات المعرفة ومستويات الإدراك التي تمر بها النفس الإنسانية في رحلتها المعرفية، بدءاً من الإحساسات الأولية وصولاً إلى التعقل الخالص للمعقولات المجردة.
- بيان الدور المحوري لمفهوم "العقل الفعّال" في نظرية المعرفة عند ابن سيناة، وتحليل طبيعة علاقته التفاعلية مع العقل الإنساني (المنفعل والمستفاد) في عملية اكتساب المعرفة الكلية.
- تحليل العلاقة العضوية والمنطقية بين نظرية المعرفة عند ابن سينا وكل من نظريته في النفس (طبيعتها، قواها، وبقائها) ونسقه الميتافيزيقي العام (خاصة نظرية الفيض ووجود واجب الوجود).
- استجلاء الغاية النهائية للمعرفة الإنسانية في الفلسفة عند ابن سينا، وبيان كيف ترتبط هذه الغاية بتحقيق السعادة والكمال الإنساني من خلال الاتصال بالمبادئ العالية.

## 4. الإطار النظري والتحليلي لنظرية المعرفة عند ابن سينا: مصادر المعرفة، درجاتها، وآلياتها

يقدم ابن سينا نظرية معرفة غنية، متدرجة، ومتشعبة، تتجلى في كتاباته الرئيسية مثل "كتاب الشفاء" (خاصة أقسام المنطق، والطبيعيات – وتحديداً كتاب النفس، والإلهيات)، و"كتاب النجاة"، و"الإشارات والتنبيهات". يمكن تحليل هذا الإطار النظري من خلال المحاور التالية التي تمثل بناءه الإبستمولوجي:

### 1.4 مصادر المعرفة الإنسانية:

يميز ابن سينا بين عدة مصادر أو قنوات للمعرفة، تتكامل فيما بينها لتشكل الصورة الكاملة للإدراك الإنساني:

#### 1.1.4 الحواس(Al-Ḥawāss – Senses) : المدخل الأولي للمعرفة

يعترف ابن سينا، متأثراً بأرسطو، بالدور الأساسي للحواس كنقطة انطلاق أولية للمعرفة، فالمعرفة تبدأ من العالم الخارجي الذي نتلقى انطباعاته عبر الحواس، يميز ابن سينا بين نوعين من الحواس:

- **الحواس الظاهرة (External Senses):** وهي الحواس الخمس المعروفة (البصر، السمع، الشم، الذوق، اللمس)، كل حاسة منها تختص بإدراك نوع معين من المحسوسات (الألوان، الأصوات، الروائح، الطعوم، الملموسات)، تزود هذه الحواس النفس بالصور الحسية الجزئية للأشياء الخارجية (Rahman, 1952; Black, 2014) .
- **الحواس الباطنة(Internal Senses) :** وهي قوى نفسية داخلية تقوم بمعالجة وتخزين وتجريد ما يرد من الحواس الظاهرة، يعتبر ابن سينا هذه الحواس الباطنة ضرورية لعملية الإدراك والتفكير، وتشمل عادةً (مع بعض الاختلافات في التسمية والترتيب في كتبه المختلفة:(
  - **الحس المشترك (Al-Ḥiss al-Mushtarak – Sensus Communis):** وهو قوة تجمع بين إدراكات الحواس الظاهرة المختلفة، وتدرك الصورة الحسية الموحدة للشيء (مثلاً، إدراك أن هذا الشيء الأبيض الحلو الرطب هو تفاحة).
  - **الخيال أو المصورة (Al-Khayāl / Al-Muṣawwira – Imagination / Image-Retaining Faculty):** وهي قوة تحفظ الصور الحسية التي أدركها الحس المشترك، حتى بعد غياب المؤثر الحسي الخارجي.
  - **المتخيلة أو المفكرة (Al-Mutakhayyila / Al-Mufakkira – Estimative Faculty (in animals) / Cogitative Faculty (in humans):** هذه القوة، عند الإنسان، تقوم بتركيب وتفصيل الصور المحفوظة في الخيال، وتساعد في التفكير العملي والابتكار.
  - **الوهم (Al-Wahm – Estimative Faculty):** وهي قوة تدرك المعاني الجزئية غير المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزئية، مثل إدراك الشاة لمعنى "العداوة" في الذئب، أو معنى "الأمومة" في النعجة، هذه المعاني ليست مدركة بالحواس الظاهرة مباشرة.
  - **الذاكرة أو الحافظة (Al-Dhakira / Al-Ḥāfiẓa – Memory / Retentive Faculty):** وهي قوة تحفظ المعاني الجزئية التي أدركتها قوة الوهم (Gutas, 2014; Kaukua, 2015) .

على الرغم من أهمية الحواس كمصدر أولي، يؤكد ابن سينا على أن المعرفة الحسية (سواء الظاهرة أو الباطنة المتعلقة بالجزئيات) وحدها لا ترقى لمرتبة العلم اليقيني والبرهاني، لكونها تتعلق بالجزئيات المتغيرة والعرضية، ولأن الحواس قد تكون عرضة للخطأ والخداع. العلم الحقيقي يتعلق بالكليات الثابتة، وهو ما يتطلب تجاوز مستوى الحس.

### 2.1.4 العقل (Al-ʿAql – Intellect): أداة التجريد وإدراك الكليات

العقل هو القوة الإدراكية الأسمى في الإنسان، وهو الذي يميزه عن سائر الحيوانات، وظيفته الأساسية هي إدراك المعاني الكلية المجردة (Universals) أو الماهيات (Essences) من الصور الجزئية المحسوسة. يقوم العقل بعملية "التجريد - Abstraction) " (*tajrīd*، حيث ينتزع الصورة الكلية أو المفهوم العام (مثل مفهوم "الإنسان" أو "الحيوان") من الجزئيات الحسية المتعددة (زيد، عمرو، هذا الحصان، تلك الشاة)، وذلك بمساعدة وإفاضة من "العقل الفعّال " (Davidson, 1992; Adamson, 2005) .

يمر العقل الإنساني، في تطوره نحو الكمال المعرفي، بعدة مراحل أو درجات (مراتب العقل):

- **العقل الهيولاني (*al-ʿaql al-hayūlānī* - Material Intellect):** وهو الاستعداد المحض أو القوة المطلقة لدى النفس الإنسانية لقبول المعقولات، وهو مشترك بين جميع الناس، يشبه الصفحة البيضاء التي لم يُكتب عليها شيء بعد.
- **العقل بالملكة (*al-ʿaql bi-l-malaka* - Habitual Intellect):** وهو المرحلة التي يكتسب فيها العقل المعقولات الأولية أو المبادئ البديهية (مثل مبدأ عدم التناقض، أو أن الكل أعظم من الجزء)، والتي لا تحتاج إلى برهان، وتصبح بمثابة "ملكة" أو عادة راسخة لديه.
- **العقل بالفعل (*al-ʿaql bi-l-fiʿl* - Actual Intellect):** وهو المرحلة التي يصبح فيها العقل قادراً على استحضار المعقولات التي اكتسبها بالفعل والتفكير فيها متى شاء، دون الحاجة إلى اكتسابها من جديد في كل مرة، المعقولات هنا تكون حاضرة في الذهن "بالفعل."
- **العقل المستفاد (*al-ʿaql al-mustafād* - Acquired Intellect):** وهي أعلى درجات العقل الإنساني، وفيها يتصل العقل الإنساني اتصالاً فعلياً بـ "العقل الفعّال" (المفارق)، ويستفيد منه المعقولات الكلية والمجردة بشكل مباشر وواضح، في هذه المرحلة، تصبح المعقولات حاضرة للعقل ليس فقط كمخزون ذاتي، بل كمشاهدة مباشرة للمبادئ العقلية (McGinnis, 2010; Black, 2000).

### 3.1.4 الحدس (Hads – Intuition) : طريق مباشر للمعرفة العقلية

بالإضافة إلى الاستدلال المنطقي والبرهاني الذي يعتمد على ترتيب المقدمات للوصول إلى النتائج، يقر ابن سينا بوجود مسار آخر للمعرفة العقلية، وهو "الحدس"، الحدس عند ابن سينا ليس مجرد شعور غامض، بل هو قدرة عقلية فائقة على "الالتقاط" السريع والمباشر للحد الأوسط في القياس، أو إدراك المعقولات الكلية دفعة واحدة، دون الحاجة إلى عملية استدلالية طويلة ومتدرجة، إنه بمثابة "إشراق" أو "فيض" من العقل الفعّال على النفس المستعدة والمتهيئة له (Gutas, 1988; Adamson, 2013)،

تتفاوت قوة الحدس بين الناس بشكل كبير، فبعض الناس قد يحتاجون إلى جهد كبير وتفكير طويل للوصول إلى معرفة معينة، بينما قد يصل إليها آخرون بحدس سريع وخاطف، ويصل الحدس ذروته وقوته القصوى عند الأنبياء، الذين يتمتعون بما يسميه ابن سينا "العقل القدسي (*al-ʿaql al-qudsi*) " ، وهو عقل يتمتع بقوة حدسية خارقة تمكنه من الاتصال بالعقل الفعّال بشكل مباشر وتلقي المعارف الإلهية، كما أن الفلاسفة

والحكماء ذوي النفوس الصافية والعقول المدربة قد يتمتعون بقوة حدسية عالية، الحدس، في منظور ابن سينا، ليس مناقضاً للعقل البرهاني، بل هو أعلى درجات فعالية العقل وسرعته في إدراك الحقائق.

**2.4 دور العقل الفعّال (Al-ʿAql al-Faʿāl – Active or Agent Intellect): واهب الصور ومصدر اليقين**

يشغل مفهوم "العقل الفعّال" مكانة محورية في نظرية المعرفة والميتافيزيقا عند ابن سينا، العقل الفعّال هو العقل العاشر والأخير في سلسلة العقول السماوية المفارقة التي تفيض عن المبدأ الأول (واجب الوجود، الله) في نظرية الفيض عند ابن سينا، هذا العقل الفعّال، بكونه مفارقاً وغير مادي، يحتوي على جميع المعقولات الكلية أو الصور المجردة لجميع الموجودات في العالم السفلي (عالم الكون والفساد) (Davidson, 1992; Wisnovsky, 2003).

يلعب العقل الفعّال دورين أساسيين في عملية المعرفة الإنسانية:

1. **واهب الصور (Giver of Forms - *wāhib al-ṣuwar*):** عندما تستعد النفس الإنسانية، من خلال عمل الحواس والعقل المنفعل في تجريد الصور من المواد الجزئية، فإن العقل الفعّال يفيض عليها بالصورة المعقولة الكلية المناسبة، فالعقل الإنساني وحده لا يستطيع توليد الكليات من ذاته، بل هو يستقبلها من مصدر أعلى مفارق، العقل الفعّال هنا بمثابة "الشمس" التي تضيء العقل الإنساني وتجعله قادراً على التعقل الفعلي، كما تضيء الشمس الأشياء الخارجية فتجعلها مرئية للحس (Janssens, 2007)،
2. **مصدر اليقين للمعرفة البرهانية:** الاتصال بالعقل الفعّال هو شرط حصول المعرفة اليقينية والمفاهيم الكلية والمبادئ الأولية التي يقوم عليها البرهان العلمي، فالمعرفة التي تستمد من هذا المصدر المفارق تتسم بالثبات والضرورة والكلية، وهي خصائص العلم الحقيقي عند ابن سينا.

إن علاقة العقل الإنساني بالعقل الفعّال هي علاقة استقبال وإفاضة، كلما ازدادت النفس الإنسانية استعداداً وتطهراً من الشوائب المادية، كلما كان اتصالها بالعقل الفعّال أقوى وأوضح، وقدرتها على تلقي المعقولات أتم.

**4.3 درجات المعرفة وعلاقتها بقوى النفس:**

يرى ابن سينا، كما أشرنا، أن المعرفة عملية متدرجة ومتصاعدة، ترتبط بشكل وثيق بقوى النفس المختلفة، تبدأ هذه العملية من أدنى مستويات الإدراك وصولاً إلى أرقاها:

- **الإدراك الحسي (Sensory Perception):** وهو إدراك الصور الجزئية للأشياء الخارجية بواسطة الحواس الظاهرة، ثم معالجتها وحفظها بواسطة الحواس الباطنة (الحس المشترك، الخيال).
- **إدراك المعاني الجزئية (Perception of Particular Meanings):** ويتم ذلك بواسطة قوة الوهم، التي تدرك معاني غير محسوسة مرتبطة بالمحسوسات (مثل الصداقة أو العداوة).
- **التفكير التخيلي أو المفكرة (Cogitative Thinking):** وهي قدرة النفس الإنسانية على تركيب وتفصيل الصور والمعاني الجزئية المحفوظة، وتستخدم في التفكير العملي والابتكارات الجزئية.

- **التعقل أو الإدراك العقلي (Intellectual Apprehension):** وهو إدراك الكليات المجردة بواسطة العقل، والذي يبدأ من العقل الهيولاني (الاستعداد) وينتهي بالعقل المستفاد (الاتصال الفعلي بالعقل الفعّال)، هذه هي مرحلة العلم الحقيقي والمعرفة اليقينية (Rahman, 1952; Marmura, 1980) .

النفس الإنسانية، بكونها جوهراً روحانياً بسيطاً وغير مادي وقابلاً للبقاء بعد فناء الجسد، هي محل هذه الإدراكات والمعارف المتنوعة، والمعرفة، وخاصة المعرفة العقلية، هي التي تحقق كمال النفس، فكلما ازدادت النفس معرفةً بالموجودات على حقائقها الكلية، وبالمبادئ العقلية الثابتة، كلما ازدادت كمالاً وجوهرية وقرباً من عالم المفارقات.

**4.4الغاية النهائية للمعرفة: السعادة العقلية والكمال الإنساني:**

لا تنحصر غاية المعرفة عند ابن سينا في مجرد تحصيل المعلومات أو تحقيق منافع عملية دنيوية فحسب، على أهميتها، بل إن للمعرفة غاية أسمى وأعمق تتعلق بالكمال الجوهري للنفس الإنسانية وسعادتها الحقيقية والقصوى.

- **المعرفة ككمال للنفس:** يرى ابن سينا أن النفس الناطقة كمالها الأول هو أن تصير عالماً عقلياً ينتقش فيه صورة الوجود كله ونظام المعقولات، مبتدئاً من المبدأ الأول (الله) ثم العقول المفارقة فالأفلاك فالأجسام الطبيعية فالنفس الإنسانية نفسها، هذا "الاستكمال العقلي" هو ما يحقق للنفس جوهرها الحقيقي(Inati, 1996; Druart, 2000) ،
- **السعادة العقلية:** السعادة الحقيقية والدائمة للإنسان، في منظور ابن سينا، ليست سعادة حسية أو جسدية (فهذه مؤقتة وزائلة)، بل هي سعادة عقلية تتحقق من خلال التأمل في المعقولات، وإدراك الحقائق الكلية، والاتصال بالعقل الفعّال، هذه السعادة هي لذة عقلية خالصة، تزداد كلما ازدادت النفس معرفة وتعقلاً.
- **الغاية الأخروية:** هذه السعادة العقلية لا تقتصر على الحياة الدنيا، بل هي التي تضمن للنفس بقاءها السعيد بعد مفارقة البدن، فالنفس التي استكملت ذاتها بالمعرفة العقلية تتحد بالعالم العقلي وتستمر في سعادتها الأبدية، أما النفس التي بقيت جاهلة أو غارقة في الشهوات الحسية، فإنها قد تشقى بعد الموت لعدم قدرتها على الاتصال بعالم المعقولات(Street, 2005) ،

وبهذا، يربط ابن سينا نظريته في المعرفة بشكل وثيق بنظريته في النفس والميتافيزيقا والأخلاق، مقدماً رؤية شاملة ومتكاملة للوجود الإنساني وغايته، حيث تمثل المعرفة العقلية المسار الرئيسي نحو تحقيق هذا الكمال وهذه السعادة.

5. **الخلاصة**

بناءً على التحليل الفلسفي الموسع لكتب ابن سينا ودراسة الأدبيات المتخصصة حول نظريته في المعرفة، يمكن استخلاص الاستنتاجات الرئيسية التالية:

- **تكامل المصادروتدرج المعرفة:** يقدم ابن سينا نظاماً إبستمولوجياً متكاملاً ومنظماً، لا يفصل بشكل حاد بين مصادر المعرفة المختلفة، بل يراها متدرجة ومتكاملة، تبدأ المعرفة من الأساس التجريبي الحسي (الحواس الظاهرة والباطنة) الذي يوفر المادة الأولية، ثم تنتقل إلى مرحلة المعالجة والتجريد التي يقوم بها العقل الإنساني (بمساعدة الحواس الباطنة كالمفكرة)، وصولاً إلى إدراك الكليات المجردة.

- **الدور المحوري للعقل الفعّال:** يظل مفهوم "العقل الفعّال" حجر الزاوية في تفسير ابن سينا لكيفية حصول المعرفة الكلية واليقينية، فهو ليس مجرد مفهوم ميتافيزيقي، بل هو ضرورة إبستمولوجية لتفسير الانتقال من القوة إلى الفعل في العقل الإنساني، وتفسير مصدر المعقولات الأولية والكليات، وضمان موضوعية وثبات المعرفة العلمية.
- **أهمية الحدس كطريق للمعرفة:** يقر ابن سينا بمسار "الحدس" كطريق مباشر وسريع للمعرفة العقلية، وهو لا يناقض العقل البرهاني بل يمثله في أعلى درجات كفاءته، هذا الإقرار بالحدس يفتح الباب أمام فهم أعمق لعمليات الاكتشاف والإبداع، ويفسر إمكانية وصول بعض النفوس المتميزة (كالأنبياء والحكماء) إلى معارف عليا بشكل مباشر.
- **المعرفة كمسار لكمال النفس وسعادتها:** تتجاوز نظرية المعرفة عند ابن سينا مجرد البحث في كيفية حصول المعرفة، لتربطها بشكل وثيق بغاية الوجود الإنساني، فالغاية النهائية للمعرفة ليست مجرد منفعة عملية أو فهم نظري مجرد، بل هي تحقيق الكمال الجوهري للنفس الإنسانية وبلوغ سعادتها القصوى من خلال التعقل والاتصال بالمبادئ العقلية المفارقة، وفي مقدمتها معرفة واجب الوجود.
- **الأصالة والتأثير:** على الرغم من تأثر ابن سينا الكبير بالتراث الأرسطي والأفلاطوني المحدث، إلا أن نظريته في المعرفة تحمل بصمات أصيلة، خاصة في تفصيله لقوى النفس الباطنة، وتأكيده على دور الحدس، وتطويره لمفهوم العقل الفعّال وعلاقته بالعقل الإنساني، وقد كان لنظريته هذه تأثير بالغ وعميق على الفكر الفلسفي اللاحق في العالمين الإسلامي والغربي.

في ضوء هذه الدراسة والتحليل المقدم، يمكن اقتراح بعض المسارات البحثية المستقبلية التي من شأنها تعميق فهمنا لنظرية المعرفة عند ابن سينا وتراثه الفلسفي:

- **دراسات مقارنة معمقة:** يوصى بإجراء المزيد من الدراسات المقارنة المفصلة بين نظرية المعرفة عند ابن سينا ونظريات فلاسفة آخرين، سواء من سابقيه (مثل أرسطو، أفلوطين، الكندي، والفارابي)، أو معاصريه، أو لاحقيه في التراث الإسلامي (مثل الغزالي في نقده للفلاسفة، وابن رشد في تفسيره المختلف لدور العقل الفعّال، والسهروردي في فلسفته الإشراقية) وفي التراث الغربي المدرسي (خاصة توما الأكويني الذي تأثر به بشكل كبير).
- **التعمق في مفهوم الحدس وعلاقته بالنبوة والإشراق:** يستحق مفهوم "الحدس (*ḥads*) "عند ابن سينا دراسة مستقلة ومتعمقة، لتحليل طبيعته، وآلياته، وعلاقته بالعقل القدسي والنبوة، ومدى تأثره أو تأثيره على التيارات الصوفية والفلسفة الإشراقية.
- **تحليل العلاقة بين نظرية المعرفة والعلوم الطبيعية والطب عند ابن سينا:** يمكن استكشاف كيف انعكست مبادئ نظرية المعرفة عند ابن سينا (مثل أهمية التجربة الحسية، ودور العقل في التجريد والاستدلال) على منهجيته في ممارسة الطب وتأليف "القانون في الطب"، وفي أبحاثه في العلوم الطبيعية.
- **دراسة تطبيقات معاصرة محتملة لفكر ابن سينا:** بحث إمكانية استلهام بعض جوانب نظرية المعرفة عند ابن سينا (مثل أهمية تكامل مصادر المعرفة، ودور الحدس في الابتكار، والغاية الأخلاقية للمعرفة (في النقاشات المعاصرة حول فلسفة العلم، وأخلاقيات الذكاء الاصطناعي، وتطوير نظم التعليم.
- **تحقيق ونشر المزيد من كتب ابن سينا:** لا يزال هناك العديد من رسائل ابن سينا ومقتطفات من كتاباته التي لم تحقق أو تترجم بشكل كامل. إن إتاحة هذه الكتب للباحثين سيسهم بلا شك في فهم أعمق وأشمل لفكره الفلسفي، بما في ذلك نظريته في المعرفة.

## 6. قائمة المراجع

ابن سينا، الشفاء: المنطق (البرهان، الجدل، الخطابة، الشعر، المغالطة). تحقيق إبراهيم مدكور وآخرون. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن سينا، الشفاء: الطبيعيات (السماع الطبيعي، السماء والعالم، الكون والفساد، النفس). تحقيق إبراهيم مدكور وآخرون. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن سينا، الشفاء: الإلهيات. تحقيق إبراهيم مدكور وجورج قنواتي وسعيد زايد. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن سينا، النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية. تحقيق ماجد فخري. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

ابن سينا، الإشارات والتنبيهات (مع شرح نصير الدين الطوسي). تحقيق سليمان دنيا. القاهرة: دار المعارف.

ابن سينا، رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها. ضمن "تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات". القاهرة.

Adamson, P. (2005). On Knowledge of Particulars. *Proceedings of the Aristotelian Society, 105*, 273-294.

Adamson, P. (2013). *Interpreting Avicenna: Critical Essays*. Cambridge University Press.

Black, D. L. (2000). Imagination and Estimation: Arabic Paradigms and Western Revisions. *Topoi*, *19*(1), 59-75.

Black, D. L. (2014). Psychology: Soul and Intellect. In P. Adamson (Ed.), *The Cambridge Companion to Arabic Philosophy* (pp. 268-287). Cambridge University Press.

Davidson, H. A. (1992). *Alfarabi, Avicenna, and Averroes on Intellect: Their Cosmologies, Theories of the Active Intellect, and Theories of Human Intellect*. Oxford University Press.

Druart, T. A. (2000). Avicenna's Influence on Duns Scotus' Proof for the Existence of God in the "Lectura". In J. A. Aertsen, K. Emery Jr., & A. Speer (Eds.), *Nach der Verurteilung von 1277: Philosophie und Theologie an der Universität von Paris im letzten Viertel des 13. Jahrhunderts. Studien und Texte* (Miscellanea Mediaevalia, 28) (pp. 315-331). De Gruyter

Goodman, L. E. (2003). *Avicenna*. Routledge. (Updated Edition)

Gutas, D. (1988). *Avicenna and the Aristotelian Tradition: Introduction to Reading Avicenna's Philosophical Works*. Brill.

Gutas, D. (2014). *Avicenna and the Aristotelian Tradition: Introduction to Reading Avicenna's Philosophical Works* (2nd, revised and enlarged ed.). Brill.

Hasse, D. N. (2007). *Avicenna's De Anima in the Latin West: The Formation of a Peripatetic Philosophy of the Soul, 1160-1300*. Warburg Institute.

Hasse, D. N. (2013). Avicenna's 'Giver of Forms' in Latin Philosophy, Especially in the Works of Albertus Magnus. In D. N. Hasse & A. Bertolacci (Eds.), *The Arabic, Hebrew and Latin Reception of Avicenna's Metaphysics* (pp. 199-251). De Gruyter.

Inati, S. C. (Trans.). (1996). *Ibn Sina's Remarks and Admonitions: Physics and Metaphysics*. Columbia University Press.

Janssens, J. L. (2007). The Notions of Wāhib al-Ṣuwar (Giver of Forms) and Wāhib al-ʿAql (Giver of Intellect) in Avicenna. *Oriens, 35*, 185-203.

Janssens, J. L., & De Smet, D. (Eds.). (2002). *Avicenna and His Heritage*. Leuven University Press.

Kaukua, J. (2015). *Self-Awareness in Islamic Philosophy: Avicenna and Beyond*. Cambridge University Press.

Marmura, M. E. (1980). Avicenna's Chapter on Universals in the Isagoge of his Shifāʾ. In A. T. Welch & P. Cachia (Eds.), *Islam: Past Influence and Present Challenge* (pp. 34-56). Edinburgh University Press.

Marmura, M. E. (2005). *Probing in Islamic Philosophy: Studies in the Philosophies of Ibn Sina, al-Ghazali and Other Major Muslim Thinkers*. Global Academic Publishing.

McGinnis, J. (2010). *Avicenna*. Oxford University Press. (Great Medieval Thinkers Series).

Rahman, F. (1952). *Avicenna's Psychology: An English translation of Kitab al-Najat, Book II, Chapter VI with historical-philosophical notes and textual improvements*. Oxford University Press.

Street, T. (2005). Logic. In P. Adamson & R. C. Taylor (Eds.), *The Cambridge Companion to Arabic Philosophy* (pp. 247-265). Cambridge University Press.

Wisnovsky, R. (2003). *Avicenna's Metaphysics in Context*. Cornell University Press.